

قلعة تاورة دراسة أثرية معمارية

Taoura castle ,an archarological architectural study

سوالمية مباركة*
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)
amirasoualmia384@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021./05/11 تاريخ القبول: 2022/04../21

ملخص:

يكتسي موقع تاورة مكانة استراتيجية بحكم قربها من العاصمة النوميديّة سيرا والمناطق الساحلية هيبيون وقرطاج، فاختاره البيزنطيون لبناء أحد أهم القلاع التي مثلت العمارة العسكرية الدفاعية في المنطقة خلال هذه الفترة فأكل لها مهمة مراقبة تحركات القبائل البربرية، مع ضمان سير القوافل التجارية عبر الطريق الرابط بين سيرا وقرطاج، والمحافظة على المناطق الزراعية، كما وفق المهندسون البيزنطيون في استغلال طبوغرافية الموقع الجغرافي لبناء هذه القلعة التي تتميز بتحصين طبيعي، ما أدى إلى التحكم الجيد في الوضع الأمني بالمنطقة، استغلت بقايا المخلفات الرومانية بالموقع في البناء.

كلمات مفتاحية: البيزنطيون، القلاع، الحصون، تاورة، جوستينيان.

Abstract: The site of Taoura has a strategic position due to its proximity to the Numidian capital Cirta and the coastal areas of Hippon and Carthage, therefore the Byzantines chose it to build one of the most important fortresses which represented the defensive military architecture of the region during this period. Cirta and Carthage, and the preservation of agricultural areas, as according to Byzantine engineers, by exploiting the topography of the geographical situation to build this castle, which is characterized by a natural fortification, which led to a good control of the security situation in the area, and the remains of the Roman ruins at the site were used in construction.

Keywords: Byzantines, castles, forts., Taoura, Justinien.

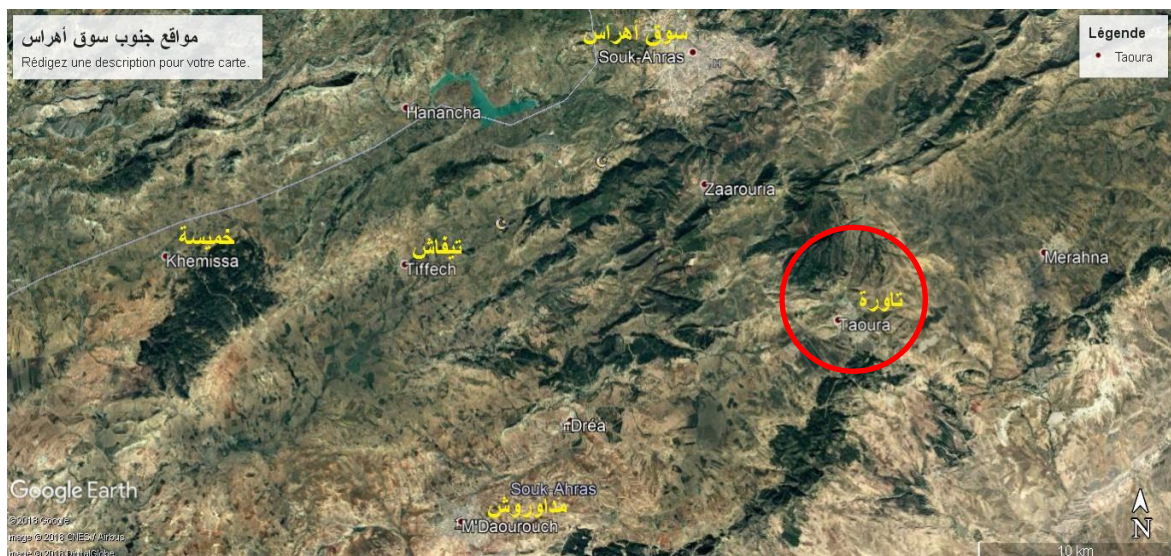
. مقدمة:

إن أهم ما ميز الفترة البيزنطية بشمال افريقيا سلسلة التحصينات التي نجم عنها تشييد عمارة عسكرية دفاعية ساهمت في سهولة التوغل بالمنطقة والسيطرة التامة عليها مع استغلال الهياكل والمنشآت الرومانية في البناء، فقد كان لهذه التحصينات الدفاعية أهمية كبيرة في الحياة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية في منطقة شمال افريقيا، إلا أن هذه العمارة وقوة الإمبراطورية البيزنطية لم تمكنها من السيطرة الكاملة على المنطقة كما فعل قبلهم الرومان، وهذا راجع لعدة أسباب منها رفض ومقاومة السكان لهذا الوجود الاستعماري الجديد، اضافة إلى المشاكل التي كانت تعاني منها الامبراطورية وخاصة المالية منها، فعمدوا إلى احتلال منطقة شمال افريقيا لنهب خيراتها واستغلالها لبناء ما تبقى من الإمبراطورية، فهل كان الحضور البيزنطي في مدينة تاورة عسكري أم أن هذه المدينة كان لها حضور عمراني ايضا؟ وما هو الدور الذي أدته هذه القلعة في تثبيت الوجود البيزنطي في المنطقة؟.

2. الموقع :

تقع المدينة جنوب شرق عاصمة الولاية سوق أهراس على الطريق الوطني رقم 82، الموقع الأثري في الحدود الشمالية للمدينة ونظراً للتوسع العمراني نجد جزء من المدينة الجديدة بني على جزء من الموقع من الجهة الجنوبية الشرقية، وهو من بين المواقع التي نجدها جنوب سوق أهراس مثل تيفاش، مداوروش، خميسة بشكل مثلث ذو زاوية قائمة (تاورة، تيفاش، مداوروش). (ينظر الشكل رقم 01) تبعد تاورة ب 26 كلم من سوق أهراس في الجنوب الشرقي وتتوسط كلا من الموقعين تيفاش، ومداوروش تبعد عن مداوروش ب 18 كلم من الناحية الشمالية الشرقية وقد شيدت بمحاذاة الطريق الرابط بين قرطاج وسيرتا، فوق تل يتوسط المناطق المنخفضة المحيطة به، هذا ما أكسبه إمكانية مراقبة كل الطرق، والمنافذ المجاورة له، وزاد من إستراتيجية الموقع.

الشكل رقم (01): صورة جوية تمثل موقع مدينة تاورة.



إسمها القديم تاورة سميت في الفترة الفرنسية قميبيطا Gambetta وهي في الأصل مدينة نوميديّة¹. وقد وجدت ناقشة لببية سنة 1917². اسمها الروماني تاورة حسب الناقشة³. كما ذكرت المدينة في المسلك الأنطواني وألواح بوتنجر مثل جغرافية فيينا⁴

3. اما بالنسبة للإحداثيات الجغرافية لموقع تاورة:

الجهة الشمالية الغربية:

36 ° - 105.60 ° شمالاً - 2.090 - 8 ° شرقاً .

من الجهة الشمالية الشرقية:

36 ° - 10.578 ° شمالاً - 2.125 - 8 ° شرقاً .

الجهة الجنوبية الشرقية:

36 ° - 10.527 ° شمالاً - 2.153 - 8 ° شرقاً.

الجهة الجنوبية الغربية:

36 ° - 10.524 ° شمالاً - 21.16 - 8 ° شرقاً.

4. الخصائص الطبوغرافية والجغرافية للموقع: (تاورة)

من الناحية الطبوغرافية نجد أن مدينة تاورة تحتل موقعاً استراتيجياً متميز يتيح للناظر مد النظر إلى نقاط متعددة وبعيدة عنه يتميز الموقع كذلك بطبيعة أرضه المتموجة الناتجة عن التشكيلات الجيولوجية والتي تعود إلى فترة الأيوسين Eocène ، ذات الطبيعة الصلصالية التي تنتج عنها أراضي ذات سطح متموج، وعليه نجد موقع المدينة شديد الإنحدار . (ينظر الشكل رقم 02)

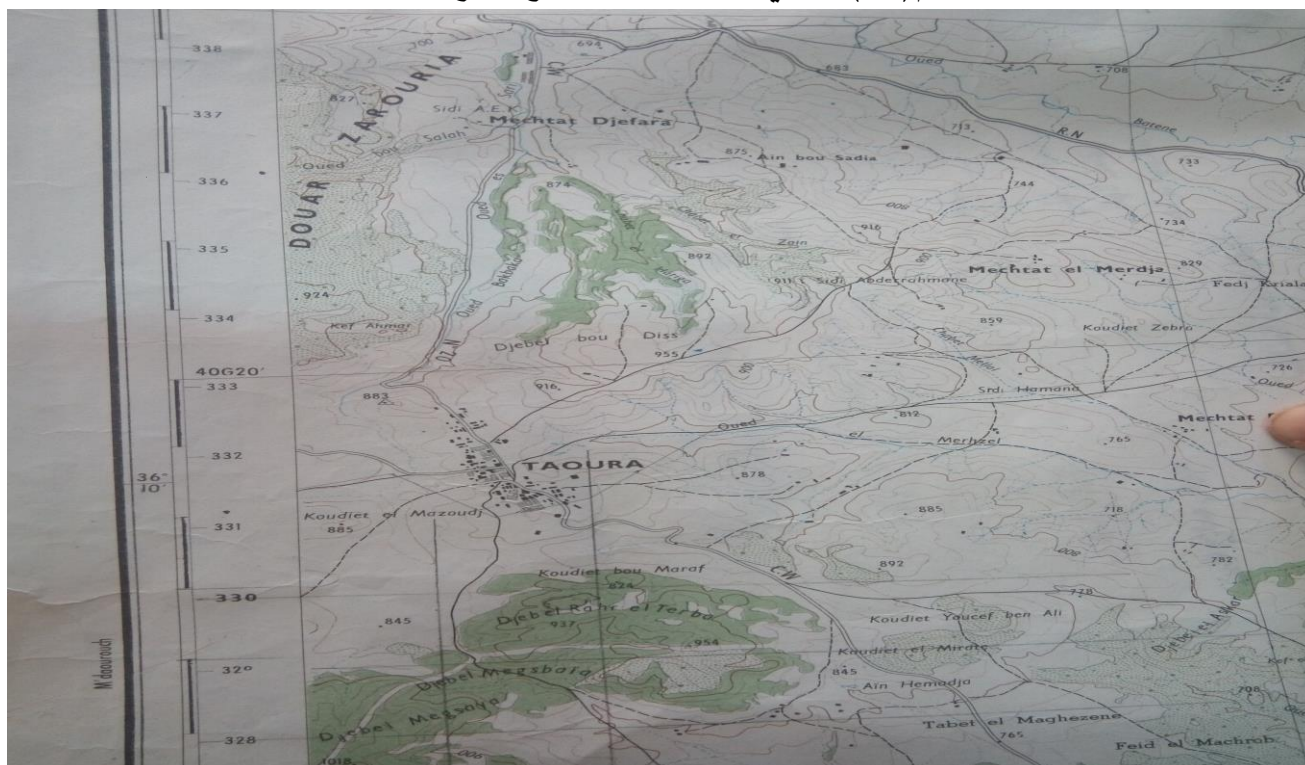
¹ - Gsell(st), (1898), Notes sur quelques forteresses antiques du département de constantine RSAC. P285

² - Gsell (st), (1898), Notes sur quelques forteresses , P285

³ - ناقشة رقم 16851، Cil v///

⁴ - يوسف عيش، (2006/2007)، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلاد المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي، اطروحة دكتوراه دولة

الشكل رقم (02): خريطة طبوغرافية توضح موقع تاور



5. أنماط العمارة البيزنطية:

شهدت منطقة شمال افريقيا وجود انماط مختلفة من العمارة الدفاعية التي تعود للفترة البيزنطية، استعملت هذه العمارة كاستراتيج مهمة لتوفير الامن والسيطرة على اكثر المناطق ويعود تاريخ جل هذه المنشآت للفترة الجوستنيانية .

5-1- المدن المحصنة:

جمعت هذه المدن بين السكان والعسكر كما يلجأ إليها سكان المناطق المجاورة عند تعرضهم لغزوات⁵. وأحسن مثال للمدن المحصنة نجد مدينة قرطاج بمساحة 390 هـ⁶. إلى جانب هذه المدن المحصنة نجد مستقر للجند الذين توكل لهم مهمة حماية ممتلكات الأشخاص والسهرة على ضمان السير العادي للحياة في كل الإقليم الخاضع لمراقبتهم⁷.

⁵ Duval (N), (1983) **L'état Actuel des recherches sur les fortifications de Justinien en Afrique** XXX, P 185.

⁶ _ دريسي سليم، (2007/2008) البيزنطيون شمال إفريقيا الاحتلال والعمارة الدفاعية، اطروحة دكتوراه في الاثار القديمة، جامعة الجزائر، ص 263.

⁷ _ Dihel (ch), (1896) **L'Afrique Byzantine Histoire de la Domination Byzantine en Afrique (533–709)**, Paris, P196.

5-2- المراكز العسكرية:

أكد دهيل Dihel على أن مثل هذه المراكز تعمل على مراقبة المدن المفتوحة⁸. مثل مدينة يتقاش فقد شيدت القلعة بها في موقع استراتيجي من الناحية العسكرية مهمتها حماية سكان المدينة ومراقبة المناطق المجاورة لوقوعها بمحاذاة الطريق الرابط بين قرطاج وسيرتا تقدر مساحتها بـ 2,25 هكتار وهي ذات تخطيط غير منتظم تحكمت به طبوغرافية الموقع حيث ما تزال بقايا هذه القلعة في الموقع الأثري لمدينة يتقاش.

5-3- القلاع:

لم تكن مهمة القلاع حماية وحدات الجيش فقط بل حماية السكان المدنيين أيضا في حالات وجود الغزوات مثل قلعة مدينة يتقاش⁹. أما قلعة مدينة تاورة فقد قدرت مساحتها بـ 0.53 ه. وقد قاربت مساحة جل القلاع إلى أكثر من هكتار ونصف مما يؤهلها إلى أستعاب ما يفوق سريتين من الجند¹⁰. كما تعددت القلاع من حيث الأشكال والمضمون وتبقى القلعة المحصنة لمدينة تيمقاد من أحسن النماذج لمعرفة التوزيع الفضائي للقلعة¹¹

5-4- القليع:

أكد دهيل Dihel على أن هذا النوع من المنشآت العسكرية يوجد بكثرة خاصة في الطرق والممرات مهمتها مراقبة تحركات السكان خوفا من الغارات والهجمات التي يشنها الأهالي¹² ومن أهم أنواع القليع القريبة من موقع تاورة نجد قليع مداوروش بمساحة 0.24 وقليع خميسة بمساحة 0.04 ه. وأهم ما يميز عمليات البناء في مثل هذه المنشأة الدفاعية خلال الفترة البيزنطية هي قلة الإنقان خاصة الفترات التي تلت عهد جو ستيان وتميزت كذلك بالسرعة في الإنجاز ربعا للوقت والمال¹³.

5-5- الأبراج:

تعتبر الأبراج من العناصر التي تميز العمارة العسكرية لما لها من أهمية في الاستراتيجية الحربية والدفاعية، وقد ذكرت المصادر كيفية بناءها وأشكالها وعادة ما تكون مربعة الشكل وهي بمثابة ملاجئ للسكان أثناء الخطر، (ينظر الشكل رقم 03) متواجدة منذ العهد الروماني لكنها أكثر أثناء الاحتلال البيزنطي لإفريقي وصفها دهيل أنها أقل إتساعا من المنشآت الأخرى¹⁴.

وقد تضمنت القلعة البيزنطية تاورة على ثلاثة أبراج، ويختلف عدد الابراج من قلعة لأخرى حسب المساحة وطبوغرافية المكان الذي شيدت عليه القلعة، فحسب المعاينة الميدانية التي قمنا بها لمدينة تاورة فإن الطبيعة الجغرافية لهذا المكان اقتضت وجود ثلاثة أبراج .

⁸ _ Dihel (ch) , L'Afrique Byzantine, op.cit. PP 286-287.

⁹ _ Duval (N) , L'état Actuel des recherches. op.cit , P 189.

¹⁰ _ دريسي سيلم، البيزنطيون شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 296.

¹¹ _ Dihel (ch) , L'Afrique. op.cit , P-205

¹² _ Gsell (st) , Les Monuments antiques de L'Algérie ,tomp 2 ,Paris ,1901 .P 109 – 114.

¹³ _ Dihel (ch) , L'Afrique Byzantine. op.cit , P-176.

¹⁴ _ Ibid, P-205

الشكل رقم (03): صورة البرج الجنوبي للقلعة



5-6- الأسوار: نظرا لأهميتها حظيت بعناية واختيرت لها حجارة صلبة حسب طبيعة المنطقة ومكوناتها الجيولوجية فقد أستخدم الحجر الكلسي بمختلف أنواعه في بناء الاسوار (ينظر الشكل رقم 04) وقد توافقت تقنيات البناء مع حجم الحجارة، فتقنية الحجارة الكبيرة تعتمد أساسا على الحجارة المصقولة أما التقنية المنتظمة وغير المنتظمة تستخدم حجارة متوسطة الأحجام، كما أستخدم الأجر المشوي. وقد اكد دهيل على أهمية السور الذي يحمي المدينة واعطى أهمية كبيرة لقاعدة السور¹⁵.

الشكل رقم (04) صورة السور البيزنطي.



¹⁵ _ Dihel (ch) , L'Afrique Byzantine, op.cit. P-205

6. القلعة البيزنطية بتاورة (تاورة) :

شيدت هذه القلعة فوق قمة هضبة صخرية شديدة الانحدار من الجهة الشرقية، صعبة الوصول من الجهة الغربية ، مساحتها صغيرة 0.53 هـ ، شكلها الهندسي شبه منحرف بنيت في عهد جوستينيان من قبل سالومون سنة (539 م 544 م)¹⁶. وقد وجد نافشة سنة 1843 من قبل القائد ميتريس Métrece وبعده دولامار في منطقة هنشير موسي على بعد 4 كلم من غرب تاورة ". وهذا ما أكدته قزال حول وجود هذه النافشة"¹⁷. ونظرا للطبوغرافية الموقع تم بناء يرجين في الجهة الشرقية ، أما الجهة الغربية فكانت محصنة بالأسوار أما الجهة الشمالية الغربية بني برج ثالث، مقاسات هذه القلعة 100 م طولاً و70م عرضاً سمك السور 2.20 م ونظرا لمساحتها الصغيرة من المفروض أن هياكلها العمرانية جد محدودة"¹⁸ السور بني على أنقاض سور قديم بعلو 6 م¹⁹ وهو جد متين يتكون من جدارين مع وجود دبش في الوسط القلعة عُموماً تتمركز في موقع إستراتيجي هام، مما يدل على أنه اختير بعناية كبير، تتوفر على مختلف ضروريات، إنشاء وتطور المدن من مرتفعات جبليه، توفر الحماية الطبيعية، ومواد البناء الأولية إضافة إلى غنى المنطقة بالأراضي الزراعية الخصبة، ووفرة الغطاء النباتي والمنايع المائية، المتفرعة عن واد مجردة ، إضافة إلى وجود خزان ماء على بعد 200 م من القلعة ويوجد خزان للماء من الجهة الغربية يبدو أنه كان مرتبطا بعين قطار بواسطة قنوات جوفية"²⁰. موقع هذه القلعة اختير بعناية وذكاء من الناحية العسكرية لأنه من الجهة الجنوبية الغربية يمكن مد النظر على مساحة واسعة لأرض مستوية بطريق إلى تيفاش وهو طريق يؤدي إلى سيرا من الشمال إلى الجنوب .

إن وضعية موقع هذه القلعة جعل الفرنسيون يستعملونها وذلك ببناء برج في عين قطار"²¹. إن الطريق المؤدي إلى تيفاش وهو المؤدي إلى سيرا تتخلله جبال مشجرة وبين هذه الجبال يوجد سهلين الأول في الشمال يطل على سهول مجردة الذي يطل مع سوق أهراس، (تاغاست) والثاني يُعد قريب من واد ملوان"²². وقد أكد قزال أن عند زيارته لتاورة لم يجد أي شيء جدير بالذكر، وقد شيدت هذه القلعة على حافة الطريق الرابط بين قرطاج وسيرا لقرب من عين قطار حيث أستغل هذا المنبع المائي"²³.

أما بالنسبة للأبراج التي بنيت في هذه القلعة وحسب المخطط يظهر برجان B و A في الجهة الأمامية للقلعة كما يظهر برج ثالث C في الجهة الغربية الشمالية، أما الجهة الشرقية فكانت مراقبة من البرج، A داخل القلعة توجد آثار

¹⁶ _ Jean Durliat (1981). **le dédicaces d'ouvrages de défense dans L'Afrique Byzantine** école Francia de Rome, P85

¹⁷ _ Jean Durliat ,le dédicaces d'ouvrages , op.cit. p 286

¹⁸ _ Gsell (st) , (1898) **Notes sur quelques forteresses** , p285.

¹⁹ _ DIHEL (ch) , L'Afrique Byzantine , P206.

²⁰ _ يوسف عيبش، الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية، مرجع سابق ، ص 444 .

²¹ _ Gsell (st) (1898), Notes sur quelques forteresses, P 288.

²² _ Gsell (st) ,Notes sur quelques forteresses , P288.

²³ _ Dihel (ch) , L'Afrique Byzantine, op.cit P 606.

مختلفة لبناء برج مستطيل²⁴. وظيفة هذه الأبراج المراقبة والحراسة وهي ذات مساحات صغيرة وأبراج قلعة تاورة شيدت في وضعية منحرفة خاصة البرج الجنوبي. ويصنف البرجين B و A ضمن الأبراج الرئيسية لقلعة تاورة لأنهما شيدا على حواف السور، يعتبران معقلا دفاعيا، وملجأ آمنا ليحتوى به خاصة عند تعرض المدينة لخطر هجوم خارجي أو عند حدوث تمردات واضطرابات داخلية.

فقد كملت الأبراج الثلاثة المقامة بتاورة السور الذي كان سمكه 2.20 م فالبرج هو أحد العناصر المعمارية الأساسية، يمكن للمدافعين مقاومة أكثر كما تستعمل الأبراج لتخزين سواد أسلحة أو مؤونة²⁵. أما أبراج مدينة تاورة فقد كانت مدمجة مع السور مربعة الشكل وقد ساهمت هذه الأبراج في زيادة قوة وثبات السور. داخل القلعة يوجد بناية مثلثة الشكل هي عبارة عن برج رئيسي داخل القلعة للاحتماء به من هجمات العدو²⁶. حيث برع المخططون العسكريون في إستعمال طبوغرافية موقع تاورة خاصة من الزاوية الشمالية الغربية فهي ذات تحصين طبيعي²⁷. وهذا ما اتضح لنا من خلال المعاينة الميدانية، أن اختيار الموقع الذي احتضن هذا المبنى التحصيني لم يكن عن طريق الصدفة. أما بالنسبة للمداخل فقد حظيت بإهتمام كبيراً فهي نقطة ضعف أو قوة أي مدينة فالمداخل تحصن تحصينا كاملاً وعادة تفتح بين برجين قريبين فيما بينهما لتسهيل مراقبة وحراسة المدخل²⁸.

لهذا شيدت مداخل المدن بأشكال وأنماط تجعل منها متراسا صعب المنال، وهذا يزيد من القدرات الدفاعية لأنها تحت مراقبة الأبراج القريبة منها وعادة تكون ضيقة لا يتجاوز عرضها 1م في المداخل الثانوية و 3 م في المداخل الرئيسية²⁹ من بين التدابير الهامة التي اتخذت في بناء المداخل عدم الإكثار منها فكل القلاع وحسب مخططاتها نجد فيها نقطة عبور واحدة هي المدخل الرئيسي مع وجود مداخل ثانوية لتسهيل الحركة السكانية والعسكرية، تكون مفتوحة للأهالي حتى يتسنى لهم قضاء حاجياتهم اليومية³⁰. حسب قزال مدخل القلعة البيزنطية لمدينة تاورة يقع بجانب البرج A³¹.

7. المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية:

من خلال مخطط مدينة تاورة (تاغورة) نلاحظ أن الأسوار الدفاعية التي بنيت خلال الفترة البيزنطية تعرف حسب تقنية البناء وطريقة البناء هذه الأسوار مازالت قائمة إلى حد الآن، بدرجة صيانة نسبية تكون في الأساس من جدارين بني بالحجارة المصقولة الضخمة المتناثرة في الموقع التي ترجع للفترة الرومانية وقد ملأ بالدبش لزيادة قوة ومتانة السور

²⁴ _ Durliat (j) (1981), les dédicaces d'ouvrages de défense, p 111.

²⁵ _ Gsell (st), Les Monuments antiques, P 377.

²⁶ _ Ibid, p 377.

²⁷ _ Ibid, p 353

²⁸ _ حاجي ياسين، التحصينات الدفاعية البيزنطية في شمال إفريقيا، مذكرة ماجستير، جامعة بغداد، 2002 م.

²⁹ _ دريسي سليم، البيزنطيون شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 306.

³⁰ _ Gsell (st) (1898), Notes sur quelques forteresses, op.cit. p 287.

³¹ _ Dihel (ch), L'Afrique Byzantine. op.cit, p 605.

لتحمل هجمات العدو ومخطط القلعة البيزنطية لتاورة غير منتظم بشكل مشابه منحرف وسمكه 2.20م³². هذه الأسوار مزودة بأبواب ضيقة.

وقد اعتمد البيزنطيون في بناء المدن على الصفة التحصينية الدفاعية بغض النظر على الجانب الفني وهذا ما يدل على ضرورة البناء والتحصين، لقلة الوقت الكافي للأهتمام بالزخرفة والفن، فقد استغل البيزنطيون طبوغرافية الموقع أحسن إستغلال، أما الجهة الشرقية الشمالية لم يكن هناك سور فهي محمية بشكل جيد والحماية هنا طبيعية يصعب على العدو الولوج لها، يكتفي بالحراسة ومراقبة العدو من الأعلى ونلاحظ أن مخطط تاورة من الأمثلة المنتشرة في شمال إفريقيا، ألا وهو تحكم طبوغرافية الموقع في شكل مخطط التحصينات³³. موقع القلعة أنها شيدت فوق قمة هضبة صخرية، منحدره في الجهة الشرقية وصعبة المنال من الجهة الغربية حيث إكتفى البيزنطيون ببناء برجين في زاويتي الجهة الشرقية وأكتفوا بالأسوار في الجهة الغربية³⁴. وحسب مقاسات القلعة صنف من بين القلاع الصغيرة والتي تكون أهميتها استراتيجية أكثر منها عمرانية³⁵

7-1- تقنيات البناء في القلعة:

أ- تقنية النظام الكبير: Opus Quadratum

استعملت هذه التقنية في معظم المنشآت العسكرية البيزنطية تعتمد على أخذ الحجارة من المعالم الرومانية المتراصة في الموقع، كما يسمح القانون البيزنطي بهدم معالم وأخذ حجاتها للبناء " وذلك ربحا للوقت وتوفير المال. ³⁶

ب- التقنية الإفريقية: Opus Africanum

استعملت في شمال إفريقيا ونقلها القرطاجيون إلى نقاط كثيرة من العالم و مثل صقلية جنوب إيطاليا، وتتم عملية البناء بطريقة عمودية، وقد اعتمد البيزنطيون هذه التقنية بمدينة تاورة. ³⁷ في أساس المبنى كما استعملت في المداخل الثانوية.

ج- تقنية الحجارة الغير منتظمة الزوايا Opus incertum :

تعتمد هذه التقنية على حجارة متعددة الأضلاع وغير متساوية الأحجام، يربطها ملاط لتكون كتلة يمكن إستعمالها كمادة يسد بما فجوات العقود، أو الثغرات بين جداري السور الدفاعي أو حتى الأبراج، أو تستخدم في بناء جدران الفضاء الداخلي للقلعة³⁸.

³² _ Gsell (s), Les Monuments Antiques , op.cit p 389 – 391 .

³³ _ Dehell (ch) , L'Afrique Byzantine. op.cit , p605 .

³⁴ _ يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، مرجع سابق ، ص 444 .

³⁵ _ Pringle (D), (1981) the defence of Byzantine Africa from Justinian to the arab conquest, P133.

³⁶ _ Pringle (D) ,the defence of Byzantine, op.cit. P136.

³⁷ _ دريسي سليم، البيزنطيون شمال إفريقيا ، مرجع سابق ، ص 282.

³⁸ _ المرجع نفسه، ص 282

د- تقنية الحجارة المنتظمة الزوايا opus Reticulatum:

تتشكل هذه التقنية من حجارة منتظمة الزوايا تشكل طبقات متجانسة تعطي للواجهة إنسجام دقيق، أستعملت خاصة في المباني الموجودة بداخل العماائر العسكرية والمباني الدينية التي تم تحويلها إلى مراكز دفاعية³⁹. ونظرا لعدم توفر جميع عناصر العمارة العسكرية البيزنطية الموجودة في تاورة لم أتمكن من تحديد كل أنواع التقنيات المستعملة في البناء وما بقي منها شيء بسيط (ينظر الشكل رقم 5) أما بالنسبة لموقع تاورة حسب المعاينة الميدانية فما يزال عقد الباب الثانوي للبرج قائما إلى اليوم فقد بنى هذا العقد دون وجود ركائز خشبية وهذا لأنه ضيق ذو شكل نصف دائري، سد الفراغ بواسطة ركام به دبش وملاط، أستعمل هذا النوع من العقود في المداخل الرئيسية كما نلاحظ غياب الملاط أو أي مادة أخرى رابطة بين الحجارة في هذه العقد نلاحظ أن هذا النوع من العقود قد أستعمل في جميع المباني العسكرية الدفاعية المشيدة في شمال إفريقيا مثل مادور أستعمل هذا النوع من العقود في المدخل الرئيسي والمدخل الثانوي للقلعة.

الشكل رقم (05): صورة عقد في مدخل القلعة.

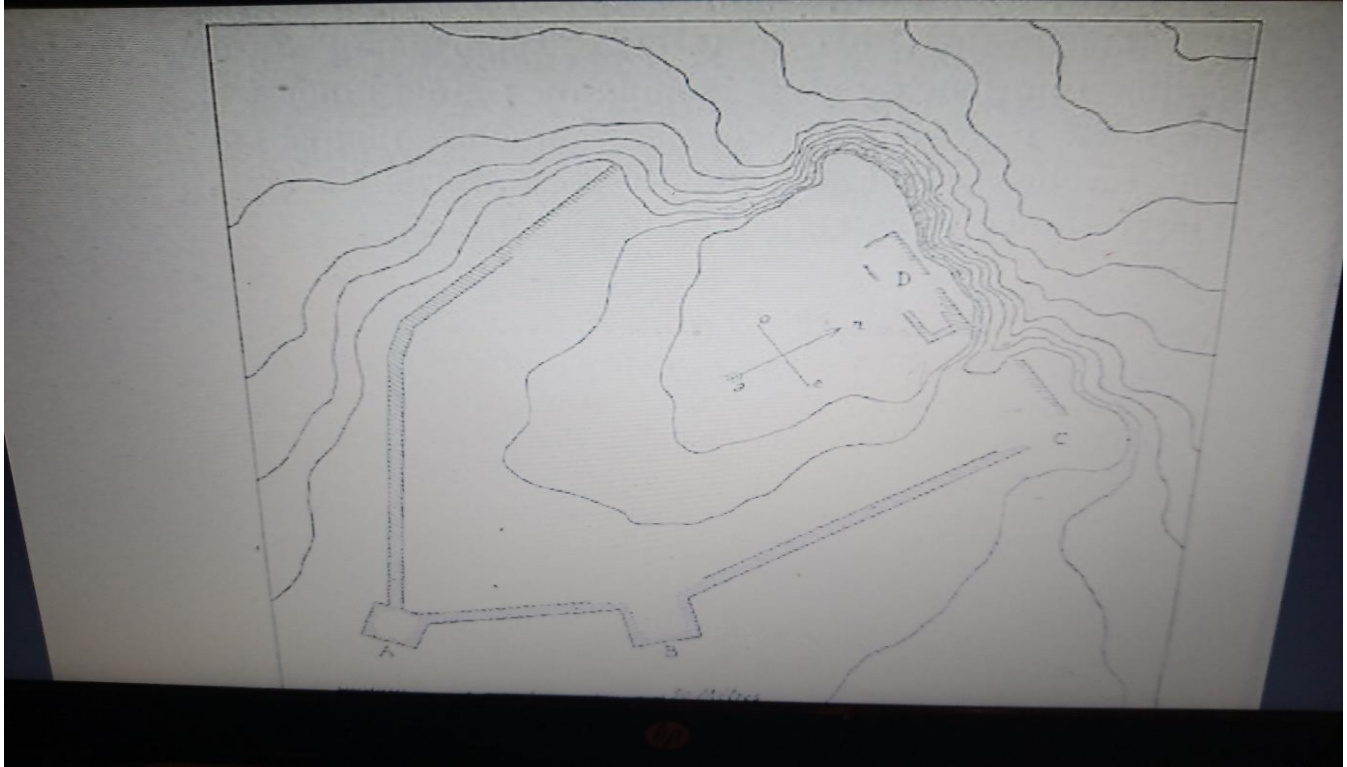
**7-2- دراسة مخطط القلعة البيزنطية لمدينة تاورة:**

من الزيارات الميدانية لموقع تاورة لاحظت أن الطبيعة الجغرافية لهذا الموقع كان لها دورا كبيرا لتشييد هذه القلعة وأن البيزنطيون عند بنائهم للمنشآت الدفاعية يبحثون عن أماكن استراتيجية وخاصة تسهل لهم مراقبة المكان المشيد به المنشئ الدفاعي والمناطق المجاورة له من جهة ومن جهة أخرى تمكنهم من السيطرة والتحكم في الوضع الأمني

³⁹ _ دريسي سليم، البيزنطيون شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 320 .

والعسكري فمن خلال مخطط مدينة تاورة يمكن أن نقرأ مدى براعة البناؤون في استغلال طبوغرافية المكان لبناء مثل هذه القلعة خاصة بوجود مكان مرتفع من الجهة الشمالية الغربية فقد وفرت هذه الزاوية حماية طبيعية للقلعة وباقي الجهات تطل على سهول واسعة فالمنحدر الكبير للجهة المحصنة طبيعياً يجعل القلعة بعيدة عن أي خطر قد يطالها وبهذا وفرت في عدد الجند المتمركز بهذه القلعة وكان لها مهمة مراقبة الطريق والمعابر القريبة منها ، وشكل المخطط العام لهذه القلعة شبه منحرف طوله 100 م وعرضه 70 م وقد تم بناء برجين في الجهة الشرقية لزيادة الحماية والمراقبة أما الجهة الشمالية الغربية فكانت ذات حماية طبيعية، أما الجهة الشمالية بنى بها برج ثالثي (ينظر الشكل رقم 06) وما يلاحظ حول هذه الأبراج الثلاث أنما ذات وضعية منحرفة تتماشى، وطبوغرافية المواقع، أما المداخل فكان لهذا المخطط مدخل واحد لتسهيل مراقبة كل حركة داخلية وخارجة في القلعة.

الشكل رقم (06): مخطط قلعة تاورة



المصدر: P378. Gsell (st) , Les Monument antiques de L'Algérie ,tomp 2 ,Paris ,1901 .

7-3- مواد بناء القلعة البيزنطية تاورة:

من المعروف أن العمارة العسكرية الدفاعية البيزنطية المشيدة بشمال إفريقيا بنيت فوق أو بالقرب من المواقع الرومانية وهذا ما يؤكد أن هذه العمارة استغلت، بقايا معالم قديمة في إطار النظام المعماري الجديد⁴⁰ وتوافقت تقنيات البناء مع حجم الحجارة، فتقنية النظام الكبير تعتمد أساساً على الحجارة المصقولة بينما التقنيات المنتظمة وغير المنتظمة تستخدم حجارة متوسطة الأحجام ، مع دمج الحجارة المصقولة والمتوسطة لتشكل التقنية الإفريقية⁴¹. كما أستعملت

⁴⁰ _ شنييتي محمد بشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، الجزء الثاني ، الجزائر ، 1999 .

⁴¹ _ دريسي سليم، البيزنطيون شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 292.

الحجارة الكلسية والمصقولة المترامية في أرجاء الموقع لتشيد القلعة البيزنطية كما أستعمل الدبش المتكون من الرمل والحجارة الصغيرة لملاً الأسوار لزيادة قوتها وحمايتها .

تكونت تركيبة الملاط البيزنطي من الجير و الرمل ويضاف إليهما كسر من الأجر وأحياناً الجص، وكانت المباني البيزنطية تستهلك كميات كبيرة من الملاط وتحبذ استعمال الجير المستخلص من غبار الرخام المحروق ويضاف إليه غبار الأجر والحجر . كما تختلف تركيبة الملاط باختلاف المناطق وما توفره طبيعة المكان⁴².

إن الموقع الأثري لمدينة تاورة يقع بالقرب من غابة كثيفة وفرت مادة الخشب التي تعتبر كمادة أساسية في البناء مثل التسقيف والركائز وعوارض ، لكن لم تصل إليها بقايا هذا الخشب لأنها مادة سريعة التلف لا تقاوم .

كما عرفت العمارة البيزنطية إستعمال واسع للأجر المشوي والمجفف خاصة المناطق التي تفتقر لمادة الحجر الذي كان العنصر الأساسي في البناء وأستعمل خاصة في بناء الأقواس والعقود والقباب والهدف من إستعمال مادة الأجر في مثل هذه الحالات هو حرية رسم الأشكال دون اللجوء إلى إسناد.

أما بالنسبة لقلعة تاورة نلاحظ غياب لمادة الأجر وهذا لوجود ووفرة الحجارة بالمنطقة خاصة جبل تيفاش كما أن البنائين البيزنطيون استغلوا المواد والحجارة المتناثرة بالموقع الأثري والتي تعود في الأساس للفترة الرومانية لبناء القلعة البيزنطية تاورة أما الملاط فيتكون في الأساس من رمل وجير مع إضافة مكونات أخرى حسب طبيعة المكان مثل إضافة الفحم، الأصداغ المطحونة، أما اللون فيختلف حسب المكونات المضافة.

8. خاتمة:

عند دخول البيزنطيون منطقة سوق اهراس اتخذوا جملة من الاجراءات الامنية المشددة في محاولة منهم لإخضاع المنطقة و توفير الامن بها و هذا بتشيد جملة من القلاع في اماكن استراتيجية مثال قلعة تاورة ، قلعة تيفاش، قلعة مادور ، قلعة خميسة فقد كان لهذه القلاع دور مهم في حماية السكان من غارات المور .

ففي جل القلاع المذكورة سابقا لم يكتف البيزنطيون ببناء الاسوار ذات السمك الكبير بل ذهبوا الى اعادة تقوية هذه الاسوار بأبراج تكثر او تقل هذه الابراج من حيث العدد حسب الطبيعة الجغرافية و التضاريسية للمنطقة ففي قلعة تيفاش مثلا القريبة من قلعة تاورة استدعت الطبيعة الطبوغرافية للمنطقة بناء عشرة ابراج في حين زودت قلعة تاورة بثلاثة ابراج فقط .

ان الطبيعة الطبوغرافية بمنطقة تاورة ذات المنحدرات الشديدة سهلت من عمل وحدات الجيش لمراقبة تحركات القبائل ازاء اي هجوم محتمل من اعلى قمة الهضبة التي شيدت عليها القلعة بدون الحاجة لبناء اكثر من ثلاثة ابراج .

ما يميز الجهة الشمالية الغربية لقلعة تاورة شدة الانحدار ما اكسبها حصانة كبيرة فهذه الجهة ذات حماية طبيعية ما سهل من عمل المهندسين في وضع مخطط القلعة يتماشى وطبوغرافية المكان .

ان ما ميز ابراج القلعة انها شيدت في وضعية منحرفة وبهذا كيفت حسب الطبيعة الجغرافية للمكان اما طرق بناء الابراج يخضع لنمط العمارة العسكرية البيزنطية .

⁴² _ Benoit (F), (1912) L'architecture l'orient médiéval et moderne, paris.

فقد كان لهذه القلعة عدة مهام منها حماية وحدات الجيش والسكان في حالات وجود غارات فمن خلال المساحة التي تحتلها القلعة ذات 0.53 هكتار فهي صغيرة مما يؤكد على ان هذه القلعة ذات نمط عسكري اكثر منه مدني عمراني . كما اكلت لهذه القلعة مهمة مراقبة الطرق و المسالك القريبة منها على غرار الطريق الرئيسي الرابط بين المدن الداخلية مثل قالمة (كلاما) سوق اهراس (تاغاست) و العاصمة النوميديّة سيرا مع المدن الساحلية مثل هيبون (عنابة) وقرطاج، هذه القلعة كانت بمحاذاة هذا الطريق .

كانت جل القوافل التجارية التي تمر عبر الطرق السابق الذكر تخضع لحماية ومراقبة من طرف وحدات الجيش المتمركزة بالقلعة .

عمد البيزنطيون لاستغلال المنابع المائية الموجودة بالمنطقة كابناء قناة ناقلة للماء على بعد 1500م من عين قطار القريبة من منطقة تاورة لتوفير الماء لوحدات الجيش حيث ذكر قزال خزان المياه القريب من القلعة و من خلال المعاينة الميدانية للموقع نلاحظ غياب هذا الخزان به .

ان الطبيعة الجغرافية لمنطقة تاورة ذات السهول الواسعة والاراضي الزراعية الخصبة قد استغلت من قبل الرومان ثم من بعدهم البيزنطيون لزراعة الحبوب خاصة القمح لتوفير الغذاء للجيش، فكانت المنطقة تنتج كميات كبيرة من القمح و يتم تخزين المحصول بالقلعة و من ثم توزيعه على باقي المناطق المجاورة او تصديره للعاصمة البيزنطية . اما فيما يخص التوصيات يجب :

الاخذ بعين الاعتبار الموقع الاثري لمدينة تاورة فهو لم يحظ برعاية واهتمام السلطات المعنية و الجهات الوصية المكلفة بحماية المعالم الاثرية ، فلم يتم برمجة اي حفريات له . قلة الدراسات العلمية و الاكاديمية المتخصصة لهذا الموقع جعلت منه عرضة للاندثار و الزوال فلم يتبق منه الا جزء من القلعة و جز من البرج .

الموقع الاثري تم استغلاله بطريقة بشعة فقد تم بناء حي سكني على جزء من الموقع ما جعله عرضة للتدخل البشري و سرقة المخلفات الحجرية واعادة استعمالها في بناء السكنات الجديدة .

اعادة تسييج الموقع ووضع ابواب خاصة تكون محروسة فخلال الزيارة الميدانية التي قادنتي له لم اجد سوي المواشي ترعى به .

ان الموقع الاثري يقع بالقرب من الطريق المعبد فحبذا لو يتم بناء مرافق سياحية به و تنظيم رحلات تربوية لتلاميذ المدارس و طلبة المعاهد للعائلات خاصة في فصل الربيع للتعريف بهذا المعلم الاثري المهم الذي تعاقبت عليه عدة حضارات .

في الاخير نرجو إعادة احياء السياحة بالمواقع الاثرية مما يساهم في الحرص على ترميمها وصيانتها وحمايتها فهي كنز للوطن.

قائمة المصادر والمراجع:

_ناقشة رقم 16851 Cil v///

- _ شنييتي محمد بشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، الجزء الثاني، الجزائر، 1999
- _Benoite (F), (1912) L'architecture l'orient médiéval et moderne, paris.
- _Dihel (ch), (1896) L'Afrique Byzantine Histoire de la Domination Byzantine en Afrique(533-709),Paris.
- _Duval (N) (1983), L'état Actuel des recherches sur les fortifications de Justinien en Afrique XXX.
- _Gsell (st) , (1901)Les Monument antiques de L'Algérie ,tomp 2 ,Paris.
- _Gsell(st), (1898) Notes sur quelques forteresses antiques du département de constantine RSAC. .
- _Jean Durliat : le dédicaces d'ouv rages de défense dans L'Afrique Byzantine école
- _Pringle (D), (1981) the defence of Byzantine Africa from Justinian to the arab conquest.

الأطروحات:

- _ عيش يوسف (2007/2006)، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي، اطروحة دكتوراه دولة في تاريخ واثار المغرب القديم، جامعة منتوري قسنطينة.
- _ دريسي سليم،(2008/2007) البيزنطيون شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية، اطروحة دكتوراه في الاثار القديمة، جامعة الجزائر.
- _ حاجي ياسين،(2002م) التحصينات الدفاعية البيزنطية في شمال افريقيا ، مذكرة ماجستر، جامعة بغداد.

المؤلف (ين) : سوالمية مباركة.

العنوان: قلعة تاوردة دراسة أثرية معمارية